حركات المقاومة الدرقاوية في منطقة تافيلالت بالمغرب: زعماء بين إعلان الجهاد واللجوء إلى العنف وسفك الدماء.

أ. د قاسم الحادك*

تبنى زعماء حركة المقاومة في تافيلالت الخطاب الصوفي الدرقاوي واستفادوا مما راكمه درقاويو الجنوب الشرقي المغربي من قدسية ورمزية، لكنهم تميزوا عن غيرهم من الزعامات الدرقاوية بتجربتهم العسكرية وحنكتهم الحربية التي راكموها خلال سنوات سابقة، والتي مكنتهم من توجيه ضربات عديدة لجيش الاحتلال وتكبيده خسائر بشرية ومادية محسوسة، وعرقلة مشاريعه التوسعية وإرباك خططه. غير أن هؤلاء الزعماء وإن كانوا قد بصموا مواجهاتهم للقوات الفرنسية بتطور نوعي سواء من حيث الكيفية أو المردودية، فإن ما يعاب عليهم هو انشغالهم بالكثير من الصراعات الداخلية والانقسامات التي استنفذت قوت حركتهم المدخرة للتعبئة للجهاد، لاسيما وأنهم كانوا لا ينتمون إلى المنطقة ولا يتمتعون بأية عصبية قبلية.

فإلى أي حد تحكمت الصراعات والانقسامات في مسار التيار الدرقاوي الجهادي بتافيلالت بزعامة التوزونيني وخليفته النكادي؟ وكيف أثرت التناقضات الصارخة بين مكوناته والعناصر الفاعلة فيه على واقعه ومستقبله؟ وهل فعلا نحن أمام حركة درقاوية جهادية هدفها الرئيس صد الغزاة وعرقلة خططهم؟ أم أن الأمر يتعلق بمؤسسة سياسية وعسكرية للعنف والنهب وتحقيق المصالح الشخصية؟

سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة للوقوف على حقيقة هذه الحركة من خلال استعراض أهم الوقائع والمحطات الحاسمة في مسارها والخلفيات المتحكمة فيها

I – التوزنيني من استغلال الأوساط القبلية الدرقاوية إلى الانقلاب عليها:

1- السياق التاريخي لحركة المقاومة بزعامة التوزنيني: هو"مبارك بن الحسن بن محمد بن أحمد بداح، وهذا الجد الملقب بـــ"بداح" هو الذي أسلم وكان يهوديا"[1]. ازداد حوالي سنة **1873م–1874م** في قرية توزونين بقبيلة أقا في بلاد سوس[2]، ينحدر من وسط أسري فقير اضطره إلى الهجرة رفقة عائلته إلى منطقة تافراوت للاشتغال بالفلاحة[3]. غير أن اللحظة التي غيرت مسار التوزونيني كانت مصادفته سنة **1904م** طائفة من أتباع زاوية إيليغ[4]، فتأثر بمنهجهم في الحياة وبأفكارهم الروحية وتبنيهم طقوس

* - أستاذ في تاريخ المغرب المعاصر - كلية الآداب والعلوم الإنسانية وباحث في تاريخ المقاومة المغربية وجيش التحرير - المغرب.

الصوفية من تقشف وابتعاد عن الأمور المادية، كما عاين عن قرب السهولة التي كان يكسب بها هؤلاء المتصوفة قوتهم من غير "كد إلا أذكارا بموالاة وحمل السبح الذي هو أخف من حمل القفاف في المساحي"[5].

قرر التوزونيني مرافقة أتباع الشيخ الإلغي، وتحمس لحياته الجديدة واندمج بسرعة في طقوس وشعائر الصلحاء. وأصبح يقتدي بأحوال شيوخه خصوصا ما تعلق بالمظاهر، فقل كلامه وأسدل لحية كثيفة وارتدى ثيابا رثة مرقعة وأصبحت السبحتان لا تفارقانه[6].

والغريب أن التوزونيني أبدى طموحا في ولوج عالم السلطة مبكرا، فكان "كلما باسط الفقراء يقول لهم لابد أن أكون سلطانا فيتضاحكون منه ويتعجب المتمكنون منهم من قصده"[7]. كما عمد إلى التركيز على العديد من الأذكار والسور القرآنية التي تتماشى مع ميولاته للسلطة، "فطلب من أستاذه أن يعلمه أذكارا خاصة لها أسرار قوية، فعلمه عددا من حسبنا الله ونعم الوكيل وآية الكرسي فأقبل إقبالا كليا عليهما لا يفتر عن ذكرهما"[8].

شكلت مشاركة التوزونيني في حركة الهيبة سنة 1912م فرصة سانحة تعرف فيها عن قرب على دواليب السلطة[9]، فازدادت ثقته بنفسه وشحذت طموحاته السياسية، بعدما تبين له أن الهيبة الذي استطاع تزعم هذا الكم الكبير من الناس ليس إلا "ذاك الرجل البسيط الوديع السالم للناس"[10]، وأن الوصول إلى السلطة لا يتطلب صفات شخصية وخصائص خارقة وهو الذي لا يتعدى تحصيله العلمي حفظ بعض سور القرآن الكريم، "فترجع إليه أمانيه القديمة وآماله التي جعلها نصب عينه... وهو يعرف من نفسه من البسالة والإقدام، ورباطة الجأش والاستهانة بإراقة الدماء ما لم يكن له أثر من الهيبة"[11].

بعد رجوعه إلى سوس إثر هزيمة الهيبة، أكثر التوزونيني من حياة التجوال والترحال متأسيا بأحوال الأولياء والصلحاء، "فأصبح أمام نفسه يذهب حيث شاء فمرة بـــ"سكاته" ومرة بـــ"إلغ" إزاء قبر شيخه، ومرة بـــ"مكناس"، وهكذا أمضى نحو ثلاث سنوات أو أربع"[12].

وعلى غير عادة شيوخ زاوية إيليغ وصلحائها الذين كانوا يلتزمون الحياد، أخذ التوزونيني يتدخل في الشؤون القبلية، وهو ما أثار استياء شيوخ الزاوية الذين قرروا طرده سنة 1914م.

توجه التوزونيني إلى بلاد دادس عملا بنصيحة شيخه مولود اليعقوبي الذي خاطبه قائلا:"... لا يمكن أن يستقيم لك ما تريد في بلاد سوس وربما لا يتم لك ما تريد إلا في قبائل القبلة الجاهلة"[13].

هكذا حل التوزونيني بجنوب تافيلالت[14]، حيث شرع في تنفيذ أفكاره ومشاريعه السياسية. ومما يدل على ذكاء التوزونيني في مسيرته نحو تحقيق مشروعه الديني والسياسي، تبنيه لمبادئ وتعاليم

الطريقة الدرقاوية التي كان يتشبع بها أغلب سكان المنطقة، فبمجرد وصوله إلى بلاد دادس تقرب إلى الشيوخ الدرقاويين[15] خاصة الشيخ عبد المالك الدادسي العمراني، وأصبح درقاويا "صموتا لا يتكلم حتى بالتحية ويبتعد من العلماء، وله سبحتان في عنقه غليظة ورقيقة... فصار يتقرى البلاد ويستخرج بالتأمل الحقايا"[16].

فهل كانت ملازمة التوزونيني لشيوخ الدرقاويين واتباع تعاليمهم نابعة من اقتناع هذا الأخير بالمبادئ والأفكار الدرقاوية؟ أم كانت مجرد مطية لتحقيق أحلامه في استقطاب الناس وإكسابه الشخصية الصوفية المجاهدة، مستغلا الإرث الكبير والنفوذ الواسع الذي كانت تتمتع به الزوايا الدرقاوية في المنطقة وبخاصة الرصيد الجهادي الذي تركه شيوخها الأوائل ولاسيما سيدي محمد العربي ومولاي أحمد أو لحسن السبعي.

كما بادر بملازمة ضريح سيدي محمد نفروتن والاستقرار بجواره وهو الولي الصالح الذي تقدسه قبائل آيت عطا ويحظى باحترام واسع لديها[17].

إن اختيار التوزونيني لهذا المكان مع ما يحمله من رمزية لدى قبائل المنطقة جعل أفكاره تنفذ إلى نفوس الأوساط القبلية لآيت عطا التي اعتقدت فيه وآمنت بدعوته، خصوصا وأنه لم يفتأ يحض على الجهاد ويعلي من مكانة المجاهدين "حتى امتلأت به أعين جيران المشهد... فصاروا يأتونه بالأعشار ثم صارت أخباره تسري...؛ فصار يستنهض همم الناس إلى القيام لإعلاء كلمة الدين، ويندد على آيت عطى الذين فرطوا في تافيلالت حتى وقع احتلالها"[18].

كما أن اختيار التوزونيني لقبائل آيت عطا لبث دعوته وانطلاق حركته لم يكن صدفة، فقد كان يدرك أن أي مشروع سياسي يحتاج بالإضافة إلى النفوذ الديني والصوفي- الذي تجسد في انتمائه للدرقاويين- إلى عصبية قبلية تعضده وتدعمه. وحتى يكسب ثقة ساكنة المنطقة والأعيان على الخصوص تصاهر مع أسرة عبد الله بن احساين التمصلوحتي بقرية تازارين[19].

ولما تأكد التوزونيني أن الظروف أصبحت ملائمة لنشر مبادئه وأفكاره بعدما ترسخت مكانته بين الناس وازدادت ثقتهم به،"صار يستدرجهم ويومئ في بعض المجالس الخاصة مع من يتوسم فيهم إسلاما وإقداما إلى أنه قد أطل زمن الفرج"[20]. فابتدأ نشاطه متبعا أسلوب الوعظ والإرشاد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورفع راية الجهاد وضرورة إحياء أمور الدين وإعلاء كلمته.

هكذا وجدت نداءات التوزونيني ودعواته آذانا صاغية لدى قبائل آيت عطا، لأنهم حسب المعسول "يصغون إلى مثل هذا الحديث، لأن باب تافيلالت التي يتخذونها مسرحا لأطماعهم وميدانا لأدوار ظلمهم قد انسد دونهم... وزيادة على ذلك فهم غلف ليس لهم فراسة يفرقون بها بين أصحاب

المقاصد على عادة غالب أهل البادية الأغمار الأغرار الذين لم يهذبهم علم ولم يشحذهم دين"[21]. وبغض النظر عن الأسباب التي قدمها مؤرخ سوس والتي جعلت الأوساط القبلية لآيت عطا تحتضن دعوة التوزنيني وتستجيب لنداءاته، فقد استغل هذا الأخير تخوف قبائل آيت عطا من الغزو المرتقب للقوات الفرنسية وتهديدها المباشر لمصالحهم الاقتصادية[22]، فبازدياد حدة الغزو الفرنسي لأودية وواحات الجنوب الشرقي أخذ المجال الحيوي لقبائل أيت عطا يضيق شيئا فشيئا مما أدى إلى شعورها بالخطر الذي بات يهددها، فكانت الفرصة مواتية لنجاح مشروع التوزونيني.

ومع بداية سنة 1918م نجح هذا الأخير في تعبئة قبائل آيت عطا وتحقيق المصالحة بين مختلف فخذاتها التي سارعت إلى تناسي أحقادها، وعقد العديد من الهدنات وانتخاب شيخ للحرب يوم 17 فبراير 1918م[23]. وقد اعتبر الفرنسيون تحالف آيت عطا وآيت مرغاد وتجاوزهم لصراعاتهم حدثا استثنائيا في تاريخ المنطقة بين لهم أنه "من غير المفيد الاعتماد كثيرا على التناقضات القبلية للسيطرة على المنطقة في الوقت الذي يعمل فيه التهديد الخارجي أو الأجنبي على خلق الوحدة بين هذه المجموعات القبلية المتصارعة"[24]

وباعتبار المهدوية إيديولوجية مغربية بامتياز[25]، لم يتردد التوزونيني في الانخراط في حركة مهدوية، معلنا أنه صاحب الوقت[26] الذي طالما انتظره الناس ليخلصهم من آلامهم ومعاناتهم يملأ الدنيا عدلا ويناصر الفقراء. كما أخبر أنه يحتاج إلى قوم أشداء يساعدونه على تحقيق الأمر العظيم وهؤلاء لن يكونوا سوى العطاويين الصناديد الأشاوس[27].

فهل كان التوزونيني على علم بالسياق التاريخي لهذه الإيديولوجية المهدوية في المغرب ؟ وهل وقف على أخبار الكم الكبير من المهديين الذين بصموا تاريخ الحركات المهدوية بالمغرب ؟

المهم أن التوزونيني كان يدرك أن إعلانه أنه "المهدي المنتظر" وإن كان سيدخله في مواجهة مع شيوخ الزوايا وشرفائها وأصحاب النفوذ المخزني، فإنه سيمكنه في المقابل من الظهور بمظهر المهتم بمصالح الضعفاء والمدافع عن الفئات الاجتماعية المحرومة، فصار"يبرم أمره مع العطاويين حتى انخدعوا بمحاله وآمنوا بأنه كالمهدي المنتظر فأعلنو بيعته"[28].

ومما زاد من قوة حركة التوزونيني وأعطى دفعة قوية لمشروعه التحاق بلقاسم النكادي[29] به، وهو الذي لا يقل عنه طموحا وهوسا إلى السلطة. فاطمأن التوزوني لضيفه الجديد وجعله زعيما عسكريا لحركته وقدمه على"أعوانه فكان صاحب سره ومشورته"[30]، خاصة بعدما اطلع على تجربته العسكرية إلى جانب بوحمارة[31].

2- اغتيال أوستري والانطلاقة الفعلية لمشروع التوزونيني: بعدما أتم التوزونيني الجانب التنظيمي والدعائي لحركته، انطلق في تنفيذ الخطوات الأولى لمشروعه الجهادي على أرض الواقع، وقد أدرك أن الانطلاقة الفعلية لحركته لن تكون إلا عبر القيام بعمل جهادي من العيار الثقيل يزلزل أركان قوات الاحتلال بالمنطقة ويكون له صدى هائل في الأوساط القبلية، فكان التخطيط لاغتيال الضابط الترجمان **Oustry** [32]، الذي كان "شديد البأس لا يحول في صدره خوف من أحد... حتى إن الثائر والنكادي جمعا يوما آيت عطا وطلبا منهم أن يقوموا بالجهاد وأن يفكوا إخوانهم مما هم فيه مما يلاقونه من الجبار الفرنسي... فكان آيت عطا يعتذرون بأنهم لا يستطيعون الإقدام على ذلك خوفا منه"[33].

لكن كيف يمكن للتوزونيني تدبير وتنفيذ عملية اغتيال الضابط الفرنسي المحصن في تافيلالت وسط قواته! لا شك أن زعيم الحركة أدرك صعوبة القيام بهذه العملية الخطيرة والحساسة، فأدنى خطأ سيعرض هذه العملية للفشل، وسيضع ادعاءاته موضع شك وريبة أمام أعين الناس التي طال انتظارها للنصر الموعود، وهو الذي "يثير بأن الفتح قد قرب طلوعه وأن نصر الله على وشك الظهور"[34].

ووعيا منه بخطورة هذه العملية وأن كل هفوة في مسار تنفيذها سيجعل طموحاته وآماله في مهب الريح، أحاط التوزونيني مسلسل التخطيط بسرية تامة، فأسند مهمة تنفيذها لشخص من حراطين إملوان يدعى لحو أو عبد الدايم[35].

المهم أن التوزونيني وقائد جناحه العسكري بلقاسم النكادي أخضعا المكلف بتنفيذ العملية لإعداد نفسي وروحي عال، وأمليا عليه "ما في الجهاد والنصيحة لله ورسوله من الأجر وحسن الأحدوثة"[36].

ويورد محمد المختار السوسي في المعسول نقلا عن المهدي الناصري تفاصيل هذه العملية قائلا:"توجه الحرطاني فاتصل بالحاكم في مكتبه فأعطاه رسالتين فقرأ الأولى وكانت تشتمل على الثناء عليه فاستبشر ثم اشتغل باستخراج الثانية من غلافها، فإذا بالحرطاني يغمد فيه خنجره، فقامت الهيعة من الأعوان ومن زوج الحاكم فتبعوا الحرطاني ثم لم يظفروا به إلا بعد جهد جاهد. وبعد أن قتل وجرح آخرين، رماه طبيب برصاصة قضت عليه بعد أن نطق بالشهادتين جهرا"[37].

3- معركة البطحاء(كاوز) وإعادة الاعتبار للنشاط الدرقاوي الجهادي: بعد نجاح عملية اغتيال أوستري في **3** يونيو **1918م**[38]، تمكن التوزونيني من تحقيق خطوة أولى وأساسية نحو ترجمة مشروعه السياسي على أرض الواقع. فعمل بسرعة على استثمار هذا الإنجاز البطولي وتوظيفه لخلق تعبئة كبيرة حول حركته،"فقام في الأسواق ينادي في الناس بالجهاد لاسيما في أسواق آيت عطا يندب الناس إلى مقارعة الفرنسيين وإلى إجلائهم من قطر تافيلالت"[39].

كما ساهم نجاح هذه العملية في ارتفاع معنويات الأوساط القبلية التي تكتلت وراء حركة المقاومة بالمنطقة التي التحقت بها المزيد من القبائل، وخصوصا الزعيم القبلي والديني الدرقاوي الشيخ سيدي علي الهواري الذي انضم إلى حركة المقاومة على رأس قبائل آيت مرغاد وآيت حديدو[40] التي كانت ترى في البعثة الفرنسية المتمركزة في تافيلالت تهديدا مباشرا لمصالحها الاقتصادية[41]. ولمواجهة هذا الغليان الكبير الذي أصبحت تعيشه منطقة الجنوب الشرقي ككل، باشرت القوات الفرنسية بقيادة دوري جولة في تافيلالت بهدف التصدي لهذه الاضطرابات والحد من تداعياتها، وقد عبأ لهذه العملية تسع كتائب ومجموعتين للأجنحة وست رشاشات وفيلق من السباهي وبطارية من عيار 65.

وبينما كانت الوحدة المتنقلة بقيادة دوري تستعد للهجوم على معسكر المقاومين، قامت فرقة عسكرية تشكل الجناح الأيسر يقودها القائد **Pochelu** بالتوغل في غابات النخيل– مخالفة لتعليمات القيادة العسكرية[42]– بغية الالتفاف على المقاومين الذين كانت أعدادهم تقدر بحوالي 2000 رجل[43]، لكن هؤلاء انقضوا بطريقة مفاجئة عليها مستفيدين من معرفتهم لميدان المعركة الذي مكنهم من تفادي التعرض للأسلحة الثقيلة خصوصا المدفعية، كما عمدوا بذكاء فائق إلى استغلال الظروف الطبيعية والمناخية لصالحهم، فعملوا على السيطرة على نقط الماء الشحيحة خصوصا وأن المعركة تزامنت مع زوبعة من"الغبار الشديد الذي يملأ الأفق... حتى لا يكاد الإنسان يفتح عينيه، فأما أهل البلد فقد ألفوا ذلك، وأما الفرنسيين فقد اختل مصافهم وتبلبلت أوامرهم"[44]. واستطاعوا خلال ساعات القضاء الشبه التام على طابور **Pochelu** وتكبيده خسائر جسيمة[45] تمثلت في سقوط حوالي 238 قتيل من بينهم 11 ضابط و68 جريح وفقدان 13 آخرين[46]. ورغم فقدان رجال المقاومة لأكثر من 600 رجل، فإن الفرنسيين اعتبروا معركة □اوز هزيمة قاسية لقواتهم، وذلك بالنظر إلى العدد الكبير للخسائر البشرية وكمية الأسلحة والدخائر التي سقطت بيد المقاومين[47].

وقد شكلت معركة البطحاء، التي انتهت بانتصار قوات التوزونيني ونجاحها في تكبيد القوات الفرنسية خسائر كبيرة بشرية ومادية[48]، فرصة لإعادة الاعتبار للحركة الدرقاوية الجهادية[49] التي أرسى دعائمها الشيخ سيدي محمد العربي ومولاي أحمد أولحسن السبعي، والتي تراجعت حدتها بعد الانتكاسات التي مني بها هذا التيار الجهادي المرتكز على الخطاب الديني الصوفي خصوصا بعد سقوط بوذنيب، مما أفسح المجال لحركات المقاومة التي يتزعمها قواد مخزنيون وقبليون خبرو االحروب المخزنية والقبلية وراكموا تجارب عسكرية أهلتهم لتحقيق العديد من الإنجازات العسكرية أمثال موحى أوحمو وموحى وسعيد والتوزونيني والنكادي...

فالتوزونيني بانتصاره في البطحاء يكون قد زاوج بين القيادة الروحية والصوفية التي جسدها شخصيا في انتمائه للطريقة الدرقاوية، واستغلاله الذكي للفكر الصوفي الدرقاوي الجهادي السائد في المنطقة والموروث الكبير الذي يمثله الدرقاويون، وبين القيادة العسكرية ممثلة في قائد جناحه العسكري بلقاسم النكادي الذي يملك تجربة عسكرية راكمها من خلال مشاركته في العديد من المواجهات العسكرية التي تزعمها بوحمارة، والتي بدت معالمها بوضوح في معركة البطحاء.

كما شكل هذا الانتصار انعطافا في تاريخ المشروع السياسي والديني الذي تبناه التوزونيني وخطط له رفقة مساعده لبنة، من خلال استغلال الحماس القبلي الذي خلفه اغتيال أوستري، وهو الحادث الذي ألهب مشاعر الناس وجعلها تقبل بدون تردد على المشاركة في حركة التوزونيني الذي استثمر بذكاء كبير هذا الارتفاع الكبير في شعبيته، فأعلن عن نفسه سلطانا وأصبح يلقب بمولاي محمد، وقرر تعبئة كل القوات القبلية لدخول تافيلالت ومحاصرة البعثة العسكرية الفرنسية في تيغمرت في[50] 1918.

استطاعت حركة المقاومة بعد انتصارها في معركة كاوز إرغام ما تبقى من الوحدة المتنقلة بقيادة دوري على التراجع والانسحاب من المنطقة[51] والتحصن في منطقة البرج في انتظار قدوم الإمدادات العسكرية. وقد أدرك الجنرال ليوطي الخطورة التي تشكلها تلك الأحداث على مستقبل الفرنسيين في المنطقة، وعبر عن تخوفه من اتساع رقعتها وتحولها إلى ثورة شاملة في كل الجنوب الشرقي، فقرر تعبئة أقصى ما يمكن من القوات لوضع حد لهذه الحركة[52]. وبغية تسهيل عمليات تموين المنطقة وضمان سرعتها وفعالياتها قرر إلحاق المنطقة بجهة مكناس وجعلها تحت قيادة الجنرال بوميرو[53] الذي تكلف بالإشراف على العمليات العسكرية لتحرير مركز تيغمرت المحاصر[54].

ورغم توصل الكولونيل دوري بتعزيزات عسكرية مهمة، فإنه قرر تأجيل الشروع في عملية تموين المركز وفك الحصار عنه خوفا من تعرضه لهجمات رجال المقاومة إلى حين وصول المزيد من الإمدادات العسكرية، وتفاديا لأية خسائر بشرية قد تزيد من تعقيد وضعية قواته.

وهكذا غادرت الوحدة المتنقلة معسكر البروج يوم 6 شتنبر بهدف تموين مركز تيغمرت المحاصر. ورغم التغطية المكثفة التي قام بها سلاح الطيران من خلال القصف اليومي لتجمعات المقاومين وقصور السفالات[55]، فإن الوحدة المتنقلة لم تتمكن من دخول المركز إلا بعد معارك عنيفة فقدت خلالها 6 قتلى و16 جريح[56]، وعادت بعدها جماعات المقاومين لمحاصرته من جديد رغم تكبدها لخسائر كبيرة قدرتها التقارير الفرنسية بحوالي 300 قتيل[57] أغلبهم من أنصار الشيخ الدرقاوي سيدي علي الهواري الذي قرر الانسحاب من حركة المقاومة ومغادرة تافيلالت رفقة أتباعه[58]. غير أن هذا القرار وإن كان

قد حرم زعماء حركة المقاومة من قوات قبلية مهمة، فإنه لم يؤثر بشكل كبير على نفوذهم بفعل الانتصارات التي حققوها والتي جعلت تأثيرهم يمتد ليشمل كل قبائل شرق دادس ودرعة وأغلب فخذات آيت عطا[59]، بل إن مبعوثي التوزنيني تم رصدهم حسب المصادر العسكرية الفرنسية في الشمال والجنوب والأطلس الكبير والمتوسط وأعالي كير لإخبار زعماء حركات المقاومة بآخر المستجدات الميدانية وإبلاغهم نيته تحرير أرفود وقصر السوق والزحف على بوذنيب[60].

تلقى الجنرال بويمبرو تعليمات واضحة من المقيم العام تقضي بالإخلاء التام لمركز تيغمرت وسحب كل الوسائل العسكرية المتواجدة فيه. وقد علل ليوطي هذا القرار بظروف الحرب العالمية الأولى وصعوبة تحمل الخسائر الكبيرة الناجمة عن عمليات التموين المتكررة لمركز ليست له أية أهمية[61]، واقترح في المقابل تأجيل "مسألة تافيلالت" إلى وقت لاحق، والاكتفاء بإحداث مركز عسكري في منطقة أرفود التي تتمتع بوضعية دفاعية ممتازة لكونها تشرف على كل المنطقة المحيطة[62] بهدف الحد من تداعيات تحركات حركة المقاومة وعزلها وحصارها والحيلولة دون امتدادها إلى باقي المناطق[63].

وفي 15 أكتوبر غادرت الوحدة المتنقلة لبوذنيب بقيادة الجنرال بويمبرو منطقة أولاد الزهرة في طريقها إلى تيغمرت لإجلاء البعثة الفرنسية المتواجدة هناك، لكنها ووجهت بمقاومة عنيفة من طرف جماعات المقاومين بزعامة التوزنيني ومساندة ساكنة قصور تافيلالت[64]، وقد عسكرت هذه الحركة المكونة من1500 رجل على طول الشريط الشرقي لغابات النخيل، حيث اتخذت موقفا دفاعيا استعدادا للانقضاض على القوافل العسكرية الفرنسية القادمة إلى مركز تيغمرت[65]. كما عمد رجال المقاومة إلى تحويل مجرى واد زيز إلى مركز تيغمرت الذي غمرته المياه وأصبح من الصعب الوصول إليه طيلة أيام[66]. ولم تتمكن الوحدة المتنقلة من تفريق كتلة المقاومة وتشتيتها والوصول إلى تيغمرت إلا بعد الاستعمال المكثف لسلاحي المدفعية والطيران[67]. وقد أسفرت عملية إخلاء هذا المركز وتحرير القوات المتواجدة به وتنظيم عملية الانسحاب إلى مركز أرفود عن فقدان الفرنسيين لـــ8 رجال وجرح 25 آخرين، في حين كانت خسائر المقاومين كبيرة تجاوزت 400 قتيل[68].

وبعد انسحاب البعثة الفرنسية من تافيلالت، حشد التوزونيني جميع أنصاره الذين وصل عددهم حسب تقديرات الفرنسيين حوالي 12 ألف رجل[69]، وأصبح يهدد المواصلات بين أرفود وقصر السوق. كما قام يومي 11 و12 دجنبر 1918م بمهاجمة مركز أرفود وتمكن رجاله من الوصول إلى السياجات الحديدية للمركز. وقد تعرض هذان المركزان طيلة شهر دجنبر لهجمات عنيفة[70].

وفي يناير 1919م أصبحت المراكز الفرنسية في أرفود وقصر السوق محاصرة، الشيء الذي انعكس على حركية المواصلات بسبب تعرض القوافل الفرنسية لهجمات متكررة لمجموعات

المقاومين[71]. وقد أرجع الفرنسيون هذه الثورة الشاملة التي عمت المنطقة إلى القرار الخاطئ الذي اتخذته القيادة العسكرية والمتعلق بالانسحاب والجلاء عن تافيلالت، وهو الحدث الذي رفع من معنويات الأوساط القبلية في المنطقة التي اعتبرته هزيمة ألحقتها بقوات الاحتلال[72].

4- تراجع حركة المقاومة وانحسار نشاطها: تزامن هذا الضغط المتواصل الذي مارسته حركة المقاومة في المنطقة على المراكز الفرنسية مع نهاية الحرب العالمية الأولى، الشيء الذي مكن السلطات الفرنسية من إرسال المزيد من الجيوش والإمدادات العسكرية[73] في محاولة منها للتخفيف من حدة الاضطرابات، إذ وصلت أعداد القوات التي تمت تعبئتها في أقل من شهر حوالي سبعة كتائب وأربع بطاريات وثلاث فيالق[74]، وهكذا قرر الجنرال ليوطي إرسال المزيد من القوات إلى الجنرال **Poeymirau** في بوذنيب للحيلولة دون امتداد هذه الاضطرابات إلى المغرب الأوسط، كما طلب من الجنرال **Aubert** في قيادة المنطقة الشمالية، ومن الوحدة المتنقلة لتازة اتخاذ الإجراءات اللازمة لتحقيق ذلك[75]. ومن أجل إحكام الحصار على حركة المقاومة في تافيلالت وتطويقها من مختلف الجهات طالب ليوطي الباشا التهامي الكلاوي بتنظيم حملة عسكرية تحت إشراف الجنرال **De Lamothe** لمهاجمة حركة المقاومة من الغرب والعمل على تسهيل العمليات التي تقوم بها الوحدة المتنقلة لبوذنيب[76].

وابتداء من **12** يناير **1919**م انطلق هجوم الوحدة المتنقلة لبوذنيب تحت إشراف الجنرال **Poeymirau**، الذي قسم قواته إلى مجموعتين: الأولى تحت قيادة الكولونيل **Mayade** قائد العمليات في زيز الأعلى والثانية تحت قيادة الكولونيل **Huré** قائد وحدة فاس[77]، في حين استقر **Poeymirau** في بوبرنوس مدعوما بسرب من إثني عشرة طائرة. وفي **14** يناير التقى الفريقان وقاما بتحرير قصر مسكي بعد معركة شرسة أصيب خلالها الجنرال **Poeymirau** بجروح خطيرة نقل على إثرها إلى مكناس[78]، وتم تسليم القيادة للكولونيل **Mayade** في انتظار وصول الجنرال ليوطي للإشراف بشكل مباشر على العمليات العسكرية[79]، وهو ما يدل على خطورة التهديدات التي أصبحت تشكلها حركة المقاومة على الوجود العسكري الفرنسي بالمنطقة. وقد نجحت هذه العمليات في فك الحصار الذي ضربه رجال المقاومة على مركز قصر السوق بعد أن دمرت حوالي **14** قصرا[80].

أدى هذا الرد الفرنسي القوي وتوالي هزائم المقاومين خلال شهر يناير إلى تراجع قدرات حركة المقاومة وانحسار نشاطها وتدني شعبية زعمائها لدى الأوساط القبلية[81]، التي انسحب قسم هام منها في ظل الخسائر البشرية الثقيلة التي تكبدتها. كما ازدادت وضعية زعماء حركة المقاومة تعقيدا بعد توصلهم بخبر مجيء حركة باشا مراكش إلى دادس وتودغة تضم ما بين **10** و**15** ألف رجل[82].

وقد أرغمت هذه المستجدات زعماء حركة المقاومة على إرسال قسم مهم من رجالهم إلى تنغير، وهو ما كانت يطمح إليه القادة العسكريون الفرنسيون الذين نجحوا في تشتيت جهود رجال المقاومة عبر دفعهم إلى فتح جبهة جديدة[83].

5 – الانتقام من شيخ زاوية فركلة الدرقاوية بعد انسحابه حركة المقاومة: كان شيخ زاوية سيدي الهواري بفركلة من بين الذين انضموا في البداية إلى معسكر التوزونيني وسارعوا إلى الالتحاق بحركة المقاومة وتدعيم صفوفها مباشرة بعد نجاح عملية اغتيال**Oustry** [84]، كما كاتب القبائل المرغادية وحثها على الإسراع في الدخول تحت طاعة زعيم حركة المقاومة التوزونيني وعدم الاستماع إلى كل من يحاول التقليل من أهمية الجهاد والمجاهدين من مثل فقيه تنغير المهدي الناصري[85]. فورد "بجيوش آيت مرغاد ومن انضاف إليهم من أخلاط البلاد ناويا قربة الجهاد طنا منه أن أمر الفتان أسس على تقوى من الله ورضوان، وكانت الجيوش التي معه أشد قوة وأكثر جمعا وأقوم دينا وأوفق سنة وشرعا"[86].

غير أن شيخ زاوية فركلة وفي خطوة مفاجئة قرر التراجع عن موقفه السابق والانسحاب من صفوف حركة المقاومة. وقد شكل موقف سيدي علي ضربة موجعة لحركة التوزونيني[87] وأفقدها قوة قبلية ذات قيمة قتالية عالية كانت في أمس الحاجة إليها، فكان من البديهي أن تتوتر العلاقات بينه وبين قادة حركة المقاومة الذين "بالغوا في تنقيص الشيخ وأكثروا فيه من القيل والقال ونسبوه عياذا بالله إلى الكفر والضلالة وأفتى بعضهم بجواز قتله"[88]، خاصة وأنه لم يكتف بموقفه هذا بل قرر شن حرب دعائية ضد حركة المقاومة وزعمائها، فكتب"لجيوش مرغاد خصوصا الأعيان وأهل الدين والصدق والإيمان، يقول لهم من كان منا وإلينا وصحت نية اعتقاده فينا فليرجع لداره معنا، فليس ثم جهاد بل طلب الملك والسعي بالفساد والفتنة وسفك الدماء وإضرار العباد، فانقلب راجعا مع الشيخ كل من فيه فائدة ومنفعة"[89].

غير أن التساؤل الذي يطرح نفسه هو: لماذا تحولت هذه الزعامة الدينية الفاعلة في المنطقة من زعامة جهادية إلى زعامة مناوئة لحركة المقاومة ؟ وهل يرجع رفض شيخ زاوية فركلة المشاركة في حركة التوزونيني فعلا للأسباب التي أوردها المهدي الناصري والتي اعتبر فيها أن موقف الشيخ الدرقاوي يرجع أساسا إلى"تقين الشيخ مقصود الفتان وأوباش من معه من أهل السفالة الأدران، ورأى من جبرهم وإكراههم الرجال على البيعة ما أطلعه على حقيقة الحال، وأن المقصود هو الفتنة والسعي في الأرض بالفساد لا ما يزعمونه من قربة الجهاد"[90]؟، أم إن الأمر يتعلق بأسباب خفية كانت وراء

موقف هذا الشيخ الدرقاوي. وهي أسباب وعوامل لا يمكن فهمها بطبيعة الحال إلا باستحضار الخلفيات التاريخية المرتبطة بالتناقضات القبلية والصراع التاريخي الدائر بين قبائل آيت عطا وآيت مرغاد؟

إن المبررات التي قدمها الناصري لتبرير موقف الشيخ الدرقاوي تبقى غير مقنعة، فرغم ما شاب حركة المقاومة بتافيلالت من غموض من حيث الأهداف والنوايا وما رافق مسارها من تجاوزات، فإن ذلك لم يكن سببا كافيا ومقنعا لكي ينقلب هذا الشيخ الدرقاوي عن موقفه السابق ويعذل عن دعم حركة المقاومة ويرتمي في أحضان الكلاوي المدعوم من جيش لاحتلال. وحتى إذا سلمنا بما أورده المهدي الناصري من كون المقصود من حركة التوزونيني هو "الفتنة والسعي في الأرض بالفساد وطلب الملك"[91]، فإن التساؤل الذي يطرح نفسه هو ألم يكن باستطاعة الشيخ سيدي علي الهواري تنظيم حركة مقاومة موازية لحركة المقاومة بتافيلالت تنافس على الجهاد عوض الانخراط في حلف الكلاوي المناصر للمستعمر؟ ألم يكن أمامه حل آخر سوى القيام بحملة دعائية مضادة هدفها كسر جبهة المقاومة ؟ خصوصا وأنه يرأس قوات قبلية من آيت مرغاد وهم ما هم عليه من قوة بأس وشدة شكيمة[92].

إن معرفة حقيقة موقف الشيخ سيدي علي الهواري وإماطة اللثام عن الأسباب الرئيسية التي كانت تقف وراء اتخاذه لهذا الموقف ستتبين مع تطورات الأحداث، فمباشرة بعد وصول حركة الكلاوي إلى تنغير في 2 يناير1919 قام سيدي علي بزيارته على رأس مجموعة من أعيان أيت مرغاد، حيث أعلن خضوعه للمخزن[93]، ووضع رهن إشارة قوات الاحتلال بقيادة الجنرالDeLamothe حوالي 1500 رجل من أنصاره[94]. وقد اعتبر العسكريون الفرنسيون الشيخ الدرقاوي عاملا مهما وأساسيا في"تمهيد السيطرة الاستعمارية على منطقة تودغة وفركلة"[95]. وبغية توظيف نفوذه الديني والقبلي الكبير لخدمة المخططات الاستعمارية الفرنسية في المنطقة عينه الفرنسيون ممثلا للمخزن[96] وجعلوه على رأس حلف دفاعي تحت إشراف الكلاوي يضم أهالي تودغة وآيت مرغاد[97]، ويهدف ضرب حركة المقاومة عبر تكسير أي تحالف محتمل بين آيت عطا وآيت مرغاد. ولبلوغ مراميه لم يتوان الكلاوي في استعمال شتى الوسائل من إغراءات مادية ووظيفية، وهكذا بمجرد ما"ورد الشيخ على السيادة الكلاوية بتدغة ومعه أعيان مرغاد ومن انضاف إليهم من تلك البلاد، حتى أكرمت متواهم ووفادتهم وأجلت مقدمتهم وأحسنت إليهم غاية. وبلغت في إكرامهم النهاية، وأقبلت على الشيخ واعتقدته وأعطته ومن معه من مرغاد ما خرج على المعتاد وفرقوا ذلك على قبائلهم بحيث لم تبق قبيلة منهم إلا وأخذت حظها وفازت بنصيبها وقصدها بهذا تفريق كلمة الفساد[98].

يكشف المهدي الناصري إذن من خلال هذه الأحداث والوقائع عن أبرز الأسباب التي دفعت بالشيخ سيدي علي الهواري إلى الانسحاب من حركة المقاومة، وهي عدم استقباله بالحفاوة والتكريم اللذين يليقان بشخصه كزعيم ديني وصوفي له وزنه وتأثيره الكبيرين، نظرا لجفاء طبع التوزونيني وعدم إلمامه بالتناقضات القبلية وغروره. فلم يحصل الشيخ الدرقاوي –الذي لم يكن على استعداد للقبول بأدوار ثانوية– على ما كان يسعى وراءه من جاه وتقدير وعطاء، لذلك أدرك أن بقاءه في صفوف حركة المقاومة لن يعود عليه بفائدة تذكر.

نعتقد إذن أن هذه الأسباب وغيرها هي التي جعلت الشيخ سيدي علي الهواري يختار موقعه إلى جانب معسكر الكلاوي الذي كان ذكيا في استغلال التناقضات القبلية والإثنية بين آيت عطا وآيت مرغاد من أجل استمالة الشيخ الدرقاوي إلى معسكره، خصوصا بعدما أجزل له العطاء وبوأه الصدارة والزعامة، فكانت النتيجة حسب المهدي الناصري أن "التزم أعيان مرغاد خدمة المخزن إلى طول الآباد، وتبرأوا من الفتان ومن معه من الفساد وانعقد عليهم بجميع ذلك الإشهاد"[99].

لقد شكل انضمام سيدي علي الهواري إلى المعسكر المناوئ للمقاومة ومشاركته في الحلف المساند لقوات الاحتلال تهديدا حقيقيا للتوزونيني ولمستقبل حركته، خاصة بعدما تم تنظيم قبائل آيت مرغاد وتأطيرها من قبل الجنرال **De lamothe** وتقسيمها إلى سبع فرق وضعت تحت قيادة سبعة من أعيان القبائل المرغادية وإشراف مباشر للشيخ سيدي علي[100]. كما كان من الطبيعي في ظل تحريض الكلاوي ونجاحه في اللعب على التناقضات القبلية واستغلال النعرات والحزازات بين مختلف المجموعات القبلية، وبذله للهدايا والعطايا في شراء الضمائر والذمم، أن تعود التحالفات القبلية إلى سابق عهدها لتستمر الصراعات بناء على أحقاد دفينة وجدت الفرصة للظهور، لكن وفق معادلات جديدة قوامها مقاومة المستعمر ومهادنته.

أدرك قادة حركة المقاومة في تافيلالت التهديد الذي بات يشكله التحالف الثلاثي المدعم من قبل سلطات الاحتلال والمكون من الكلاوي والمهدي الناصري فقيه تنغير وشيخ زاوية فركلة سيدي علي الهواري على مستقبل حركتهم. فقرروا في أوائل شهر أبريل **1919**م تنظيم حملة عسكرية قوية ضد سيدي علي الهواري الحلقة الضعيفة في هذا التحالف بقيادة أشهر قادتهم العسكريين امحمد بن الحاج الزموري المدعو القوبع[101]، وزودوه بتعاليم واضحة مفادها إحضار الشيخ سيدي علي حيا أو ميتا في محاولة منهم للانتقام من شيخ زاوية فركلة والعمل على كسر جبهة هذا التحالف.

وقد قضت خطة القائد العسكري لحركة المقاومة الهجوم بين فركلة وتودغة بهدف قطع الطريق على قوات حركة الكلاوي والحيلولة دون وصولها إلى سيدي علي الهواري. وهكذا توجه الزموري

بقواته إلى قصر أهل حرث الذي يعد أهله من "أخص الخاصة عند الشيخ سيدي علي بن العربي الهواري"[102] بهدف الضغط على الشيخ الدرقاوي وإرغامه على التراجع عن مواقفه السابقة، لكن ورغم الإمكانيات العسكرية والبشرية التي كان يتوفر عليها ابن الحاج الزموري فإنه"انهزم أمامهم وتفرقت جموعه وقتل هو، وسار إلى الخزي والنكال"[103].

بعد هذا الفشل، قرر التوزونيني المضي قدما في خطته ضد الشيخ سيدي علي الهواري وحسم الموقف لصالحه، فقام بإسناد هذه المهمة لاثنين من أبرز قادته العسكريين وهما القائد أحمد الربيبي والقائد العربي السريري المعروفان بتجربتهما العسكرية الطويلة في الجيوش المخزنية على عهد السلطان المولى الحسن، فعمدا في البداية إلى كسر التحالفات القائمة بتوزيع الأموال والعطايا، ونجحا في استمالة قسم من آيت مرغاد كانوا قد تحالفوا سابقا مع الكلاوي[104]. بعد ذلك قام زعيم المقاومة بتافيلالت بتوجيه خليفته لحسن العيساوي[105] إلى قصر أهل حرث لتأديب أهله والانتقام منهم، فلم يستطيعوا "مقاومته لما علموا غدر آيت مرغاد وموالاة الفتان ومتابعته، فلزموا القصر ومنعوا من الدخول والخروج أياما"[106].

حاول لحسن العيساوي الاستيلاء على زاوية سيدي علي لكن آيت مرغاد التفوا حول الشيخ الدرقاوي ونجحوا في صد المهاجمين، الذين تمكنوا مع ذلك من إحراق أبواب الزاوية[107]وتدمير القصر وقتل أعيانه ونهب أموالهم وممتلكاتهم، واستمر في حملته التأديبية ضد أتباع الشيخ الدرقاوي وأنصاره[108]، حيث توجه إلى كلميمة وقام بالاستيلاء على أموال وممتلكات أحد أعيانها المسمى سكوختوش الذي كان من أصهار الشيخ الهواري، فكانت نتيجة هذه الحملة العسكرية امتداد نفوذ حركة المقاومة إلى غريس وفركلة واستعادة ولاء آيت مرغاد عنوة.

أدرك الشيخ سيدي علي الهواري أنه الهدف المقبل للحملة العسكرية للتوزونيني[109]، فعمل على اتخاذ الاحتياطات اللازمة للدفاع عن نفسه رفقة آيت مرغاد الموالين له[110]. وفعلا أمر التوزونيني قائد قواته باقتحام الزاوية والقبض على شيخها بتشديد الحصار واستعمال كل الطرق والوسائل الممكنة من سلالم ومعاول للهدم والحفر والمدفعية، غير أنه لم ينجح في اقتحامها بسبب صمود ومقاومة المتحصنين بها من أتباع الشيخ الدرقاوي.

وللتعجيل بحسم الأمور في فركلة، عمد التوزونيني إلى إحداث تغييرات في قيادة جيوشه المرابطة في المنطقة، فعين على رأسها قائده العسكري علي بن التهامي التازاريني المعروف بباعلي، الذي يعد "من أشهر قادته الميدانيين وأحد قساة وعتاة خدامه الذين لا زالت الذاكرة الشعبية تحتفظ لهم بسوء الذكر"[111]. فقام باعلي التازاريني بتشديد الحصار على زاوية فركلة وتضييق الخناق على شيخها

والبطش بأنصاره وأتباعه، "فأظهر من العسف وسفك الدماء ونهب الأموال شيئا عظيما، فلم يتصل بقصر من قصور هذه الناحية إلا بدأ يقتل إمام المسجد ومصادرة أهل اليسار واعتقالهم"[112]، لكنه لم ينجح مع ذلك في اقتحام الزاوية ووضع حد لصمود الشيخ وأتباعه المتحصنين داخل الزاوية.

أدرك الشيخ الدرقاوي أن صموده لن يستمر طويلا، فمعنويات أنصاره بدأت تتراجع وحصار أعدائه يزداد ويشتد، فراسل الكلاوي حليفه وشريكه يطلب منه الإسراع بإعانته ومساعدته على غرار ما فعل مع فقيه تنغير المهدي الناصري، لكن الكلاوي "لم يقدر الإغاثة ولم يقبل العذر"[113].

وبينما كان الشيخ سيدي علي وأتباعه في أوج المحنة بسبب الحصار المضروب عليهم والرعب الذي ساد بينهم بسبب بطش التازاريني[114]، وصلهم نبأ اغتيال زعيم حركة المقاومة مبارك التوزونيني وتصفيته من قبل ساعده الأيمن والرجل الثاني في حركته بلقاسم النكادي، وهو الحدث الذي سيكون له تأثير كبير على مجريات الأحداث في فركلة وعلى مستقبل الحركة ككل وعلاقتها بالقوى القبلية في المنطقة.

II- اغتيال التوزونيني من طرف بلقاسم النكادي وبداية نهاية حركة المقاومة:

1-اغتيال بلقاسم النكادي للتوزنيني وتزعمه لحركة المقاومة: شكل اغتيال التوزونيني ترجمة حقيقية لواقع الحركة المليء بالصراعات والتناقضات[115]، غير أن استعراض العوامل والأسباب التي أدت إلى تصفية التوزونيني لن يتم إلا بالوقوف على تشابك خيوط الحركة والتناقضات الخطيرة داخل مكوناتها وبين العناصر الفاعلة فيها:

- **الخلاف حول السياسة العامة للحركة:** رغم مشاركة النكادي في مسلسل التعسفات والتجاوزات التي دشنها التوزونيني ومباركته الظاهرية لها، فإن الحركة كانت تشهد صراعا خفيا ضاريا بين زعيميها، فقد كان النكادي غير راض على السياسة الدموية التي انتهجها زعيم الحركة تجاه الشرفاء، فنسج ما يمكن تسميته بتحالف سري وخفي مع شرفاء تافيلالت وأعيانها الذين "وجدوا في النكادي آذانا صاغية فأفضوا إليه بما يلاقونه من المدعى من الحيف والعسف والتنكيل والإذلال، خصوصا من البرابر الجهال الحفاة العراة العطاويين... فحفز ذلك النكادي على أن يعتزم ما ينويه"[116].

وقد ازداد غضب النكادي عندما أقدم التوزونيني على الغدر بابن الخليفة السلطاني المولى عبد الله بن المولى الرشيد، الذي كان "من أخص الناس لديه (النكادي) وأصدقائه وأحبهم إليه"[117].

- **الخلاف حول مكونات الجيش:** شكل الصراع حول تركيبة قوات حركة المقاومة النقطة التي أفاضت الكأس وعجلت بطفو صراع المواقع الخفي بين الرجلين إلى العلن، عندما قرر التوزونيني تسريح أعداد كثيرة من القوات المحسوبة على النكادي بدعوى عدم الحاجة إليها لعدم توفر أفرادها

على أسلحة، وكثرة شكاوى سكان القصور من ازدياد عبئهم وصعوبة تموينهم، "فشكوا إلى الفتان ما لحقهم من الخليفة، وقالوا إنه ضيق علينا بأخلاط من طغام البربر بالعصي عراة حفاة وأي فائدة فيمن لا مكحلة له"[118]، فوجدها التوزونيني فرصة مواتية للتخلص من هذه القوة الموالية لخليفته ومنافسه، وأصدر أوامره للنكادي بتسريح "أصحاب العصي والأطمار وكل من لا مكحلة له. إذ لا فائدة فيهم إلا التضييق على الناس في الخبز والتمر"[119]. غير أن النكادي أدرك أن الأمر لا يتعلق بقرار روتيني يهدف إلى التخفيف عن سكان القصور، بل هو إجراء عسكري ستكون له عواقب وخيمة على مستقبله في زعامة الحركة، فعارضه بقوة لأنه سيسحب البساط من تحت أقدامه وسيحرمه من قوة عسكرية داعمة له، فأغلب هؤلاء الجند كانوا من آيت عطا الذين كانوا في صراع دائم مع ساكنة تافيلالت خصوصا أهل السفالات الركيزة الأساسية للتوزونيني، فرد النكادي:"إنه بهؤلاء قد استولى عل تافيلالت ولا محيد له عنهم"[120]. ولأن الأمر يتعلق بالصراع حول المؤسسة العسكرية فقد كان من البديهي أن تحسم الأمور بشكل دموي[121]، ففي خطوة تصعيدية قرر التوزونيني مباشرة مهمة استعراض الجيش بنفسه والإشراف شخصيا على عملية تسريح هؤلاء الجنود، وهي العملية التي انتهت بمقتله وتصفيته على يد خليفته النكادي[122] كما جاءت وقائعها على لسان الناصري "فلما بلغ المحل قام إليه الخليفة وتأدب معه وسلم وألان الكلام، فقابله بالتوبيخ والتهديد وربما ضربه على صدره برجل مكحلته ثم لاطفه الخليفة أيضا... فشرع الخليفة في عرض الجيش، فمرت طائفة مسترذلة وبأيديهم العصي وعليهم الأطمار وقال الفتان وأي فائدة في هؤلاء الأشرار. فأجابه قائدهم ليس يعرفها غيري. فضربه الفتان برجله على صدره فهناك أخرج فيه الخليفة عمارة أطار بها دماغ رأسه فخر صريعا"[123].

بعد نجاحه في الفتك بزعيم الحركة، نهج بلقاسم النكادي سياسة تصالحية تصحيحية ترتكز على التبرؤ من ممارسات سلفه وسياساته وتحاول تجميع مختلف القوى القبلية وتوحيدها خلف هدف واحد، فخطب في الناس قائلا: "يا آل عطاء وآيت شخمان وأهل تافيلالت وآيت مرغاد إننا كلنا جسم واحد"[124]. فهل كان النكادي ينوي فعلا إحداث قطعية مع ماضي حركة المقاومةء ونهج مسار جديد لها؟

المهم أن النكادي أعلن في البداية التبرؤ من أفعال سلفه وبدأ "يدعو الناس إلى الالتفاف حوله ويقول إن غرضه إحياء الدين ولا غرض إلا الجهاد في الكفار والمنافقين"[125]. وقد كانت نتيجة هذه السياسة التي تبناها النكادي ارتفاع شعبيته بين الأوساط القبلية التي سارعت للانخراط في حركته

خاصة بعد إجراءات بناء الثقة التي اتخذها، والمتمثلة في إطلاق سراح "ثمانين من المعتقلين فيهم كثير من أمثال الشرفاء. فانفرجت الأزمة بذلك في الصدور... وبايعه الناس كتابة على الجهاد".[126]

2- لجوء النكادي إلى الحيلة والخديعة للإيقاع بالشيخ الدرقاوي سيدي علي الهواري: استغل النكادي هذه الأجواء الإيجابية التي أعقبت عملية تصفية التوزونيني، وحاول استمالة فقيه تنغير وشيخ زاوية فركلة لحركته دون اللجوء إلى القوة، فراسل المهدي الناصري يطلب منه الانضمام لصفوف المقاومة وبداية صفحة جديدة قائلا: "...، ونحن سامحناكم في النفور عمن قبلنا لما علمنا من قسوته وغلظته وجفائه، ونحن لا نريد إلا إحياء الدين ونصرته ولا عدو لنا سوى الكافر ومن يعينه..."[127]، لكنه لم يتمكن من إقناع الناصري وزعزعته عن موقفه الذي تبناه منذ البداية إلى جانب الكلاوي والمستعمر. وبموازاة مع ذلك سارع النكادي إلى مكاتبة قادته العسكريين المرابطين في فركلة "يأمرهم بالكف عن محاصرة الشيخ ومحاربته"[128]، كما راسل في نفس الوقت الشيخ سيدي علي الهواري المحاصر في زاويته يطالبه بالتراجع عن موقفه المناوئ لحركة المقاومة مقابل وقف الحصار[129].

كان من نتائج ذلك استجابة شيخ زاوية فركلة لدعوة النكادي رغم تحذيرات حليفه فقيه تنغير المهدي الناصري من مغبة الانسياق وراء وعود النكادي والثقة في أمانه وتطميناته[130]، فقرر الشيخ الدرقاوي فتح أبواب زاويته بعد ثلاثة أشهر ونصف من الحصار، وأدخل إليها قادة جيوش الحركة، وأمر"من معه أن يكفوا أيديهم، فنزلوا كأضياف فأكلوا وشربوا وأخرجوا موتاهم..."، وطلبوا منه أن يكتب إلى أهل تنغير بخطه يعلمهم أن الله أهلك المدعى، وقد قام النكادي القائم بعده وفيه الخير والرحمة ثم طلبوا منه أن يذهب معهم إليه ليبايعه فأسعفهم في ذلك"[131].

ظن الشيخ سيدي علي الهواري عن حسن نية أنه سيجد عند النكادي ما لم يجده عند سلفه من تقدير وإكرام، وهو الزعيم الديني الذي يطلب الجميع وده وكسب تأييده ودعمه، فجمع عددا من كبراء وأعيان آيت مرغاد وحملوا معهم بعضا من الهدايا وانطلقوا رفقة قوات النكادي، لكن زعيم المقاومة وعوض أن يستغل هذا التحول المفاجئ في موازين القوى القبلية لصالحه ويعمد إلى دعم موقعه وتوطيد مكانته بانضمام شخصية دينية هامة من صنف شيخ زاوية فركلة المدعوم بقوى قبلية وازنة في المنطقة ستساهم لا محالة في تزكية بيعته ومنحه الشرعية التي افتقدها سلفه بسبب تجاوزات وتعسفات قواده[132]، عمد إلى الغدر بالشيخ الدرقاوي وأمر بقتله في مشهد مأساوي لم تستسغه الأوساط القبلية[133] في المنطقة على اختلافها وتناقضاتها، مما ينم عن تفكير سياسي ساذج مبني على تصفية الحسابات والثأر والانتقام تنقصه رؤية استراتيجية بعيدة وتغيب عنه قراءة مستقبلية واقعية للأحداث.

وقد أورد المختار السوسي تفاصيل عملية إعدام الشيخ سيدي علي الهواري وما بين عشرة إلى تسعة عشر من أتباعه، نقلا عن المهدي الناصري قائلا: "ثم ذهب الشيخ ومن معه تلبية للقوم، فلما وصلوا بهم إلى قصر الجرف هجموا عليهم وجردوهم وأوثقوهم كتافا فسير بهم إلى النادي، فأمر بهم فقتلوا كلهم صبرا فجعلهم واحدا واحدا أمام المدافع فتطير أشلاؤهم، وكان الشيخ آخرهم ليعذبه برؤية أصحابه على تلك الحالة"[134].

إن ارتكاب زعيم لحركة المقاومة ومشروع سياسي لهذا الخطأ الجسيم في بيئة قبلية لا تقبل بالغدر مهما بلغت درجة العداوة والحقد، ولجوئه إلى التفنن في صناعة الموت والتنكيل بشخصية دينية وقبلية وازنة على مرأى ومسمع من الأوساط القبلية، يجعلنا نتساءل عن نوعية الشخصيات التي تزعمت حركات المقاومة المسلحة المغربية، وعن طبيعة تكوينها ودرجة وعيها السياسي وقدرتها على تجاوز الانقسامات والصراعات القبلية السائدة وعدم الانغماس فيها، ومدى نجاحها في تفادي الحسايات الضيقة القصيرة المدى والمحدودة البعد من أجل خلق توليفة قبلية يشارك فيها الجميع بعيدا عن التجاوزات والتعسفات والعنف وصراعات المواقع والمناصب.

أدرك النكادي متأخرا النتائج العكسية لعمله هذا الذي"ألبسه العار عند الناس، فصار يكتب إلى الآفاق يتنصل من كونه هو الفاعل وأسند ذلك إلى فقهاء تافيلالت الذين أفتوه بعد ذلك"[135]، فبدأت العديد من القوى القبلية تنسحب من حركته وخاصة قبائل أيت مرغاد التي لم تكن لتغفر له ولقادة قواته تجاوزاتهم وتعسفاتهم[136]، وصارت تنتظر الفرصة المواتية لتثأر لشيخها.

حاول النكادي جاهدا إصلاح ما يمكن إصلاحه، فبادر إلى مراسلة مختلف القبائل في محاولة منه لاستدراك الموقف وتصحيح صورته، فكتب إلى فقيه تنغير المهدي الناصري والخليف السابق للراحل يبرئ نفسه من قتل الشيخ الدرقاوي ويلقي باللائمة على الفقهاء الذين أفتوه بذلك:"لا يصدنك عنا ما فعل بعلي بن العربي، فإنه قد تعدى طوره، وفر من الزحف، وقد أفتى فقهاؤنا بقتله، وعليه فإن لم ترد سيادتك علينا فقد شققت العصا، وخالفت ما عليه جماعة المسلمين"[137].

كان جواب المهدي الناصري صريحا وواضحا منددا بالفعلة الشنيعة التي ارتكبها النكادي ورافضا لتهديداته ومؤكدا موقعه إلى جانب الكلاوي:"اعلم أن ما فعلتموه بشيخ الإسلام... هو من أعظم المناكر وأقبح الآثام إذ لم يرد بما فعلتموه شرع ولم يرض به كل من كان سالم العقل والطبع، بل هو والله خزي وأعظم وأفضح... فأي جريمة توازي هذه الجريمة... وأي خزي أعظم وأفضع... وأي عذر أفضع من نقض العهد...".[138]

3-بداية نهاية حركة المقاومة بزعامة النكادي: بعد خروج هذا الكم الكبير من القبائل عن طاعته وفقدانهم الثقة في حركته، أحس النكادي ببداية نهاية مشروعه السياسي الذي حاول بناءه بسفك الدماء وتعسف قواده ونهبهم. ومما زاد من الوضعية الحرجة لحركته توتر العلاقات بينه وبين قائد جيشه التازاريني[139] الذي انضم للقوات الفرنسية المرابطة في أرفود، "فوصل يده بيدهم وأبرمت بينهم العقود، فاستمدهم على عدوه وأمدوه بالعدة والمال وما توقف عليه الحال ممن كان تحت إيالتهم من الرجال..."[140].

وقد حكم توتر العلاقات بين النكادي وقائد قواته التازاريني على حركة المقاومة بتافيلالت بالانكماش بسبب انعدام الثقة بين الرجلين وانهزام هذا الأخير أمام قوات الكلاوي في تودغة[141]، خاصة بعد دخول مصالح الاستعلامات على خط الصراع من أجل تأجيج نيرانه والزيادة من حدته، فسارعت إلى استقطاب التازاريني وتزويده بالسلاح[142] في محاولة منها لضرب حركة المقاومة من داخلها والقضاء عليها دون خسائر مادية وبشرية في صفوف قواتها.

غير أن هذا الصراع بين جناحي الحركة الذي دام زهاء سنة، وإن كان قد انتهى بمقتل التازاريني، فإنه شكل كذلك ضربة موجعة لقائد الحركة النكادي الذي فقد أحد أركان نظامه وخسر ولاء فئة الحراطين التي كانت تشكل عصب قوته العسكرية.

إن استقواء التازاريني بالقوات العسكرية الفرنسية التي أمدته بالسلاح والعتاد ضدا على قائده وزعيمه السابق بعد أن اشتدت الصراعات الجانبية بين الطرفين، لا يترك مجالا للشك للتأكيد على تورط حركة المقاومة في تافيلالت في مسلسل استغلال السلطة والنفوذ واللجوء إلى سفك الدماء. ومما يزكي استنتاجنا هذا كون الصراعات الداخلية بين قيادة الحركة لم تكن بسبب الخلاف حول مشروع المقاومة وبرنامجها وأولوياتها، وإنما كانت بسبب انعدام الثقة وسوء النية والصراع حول المناصب والمواقع والامتيازات والاتهامات المتبادلة بمحاولة الاستيلاء على السلطة بالقوة.

حاول النكادي جاهدا استعادة مصداقيته كزعيم لحركة المقاومة في المنطقة زاعما إعادة حركته إلى مسارها الجهادي الصحيح، فخرج في ماي **1921** "يستنفر الناس إلى الجهاد في المحافل والأسواق ويظهر في نفسه الصلاح"[143]. فقد كان متيقنا من أن الدعوة إلى الجهاد هي السبيل الوحيد الذي بإمكانه أن يوحد قبائل المنطقة، فراسل مختلف القوى القبلية بالمنطقة والتي سبق أن انسحبت من حركته مثل قبائل آيت عطا ودعاها إلى فتح صفحة جديدة قائلا:"واعلموا أن اليوم لا راحة لنا ولكم إلا بعد أخذ الثأر من المنافقين والكافرين، ونحن أردناكم أن تنهضوا معنا لقتال أعداء الله المنافقين

والكافرين ومن والاهم من المتمردين، والآن وها نحن أردنا منكم جماعتكم وأعيانكم المجاهدين تردوا علينا في بلد غريس، لتعمروا مواضعكم في وسط القبائل..."[144].

ورغم عودة الخطاب الجهادي المشحون بالنبرة الدينية عند الزعيم بلقاسم النكادي، فإن ذلك لم يشفع له لدى مختلف الأوساط القبلية بالمنطقة التي اتسعت الهوة بينها وبينه فقل حماسها واقتنعت بعدم جدوى المشاركة في حركته، فضعف نفوذه وقلت هيبته.

وبعد تراجع شعبيته وتأكده من صعوبة إقناع مختلف القوى القبلية بالالتفاف حول حركته، وأمام نجاح العمليات التي قامت بها القوات الفرنسية المتواجدة في أرفود وتيزمي بمساندة سلاح الطيران في القضاء على ما تبقى من نفوذه[145]، قرر النكادي مغادرة تافيلالت ابتداءا من ماي1921م للبحث عن حلفاء جدد في مناطق سيدي بويعقوب وتونفيت وأحنصالة بالأطلس المتوسط[146] التي تعد معاقل الزعامات الدينية الدرقاوية كسيدي الحسين أوتمكا وأولاد الطيبي وأبناء سيدي علي أمهاوش.

من جهتها قامت القيادة الفرنسية—التي كانت استخباراتها على علم بتحركات النكادي وسجلت تقاريرها الغليان الكبير الذي أحدثتها أخباره داخل الأوساط القبلية للأطلس المتوسط[147]—بتكثيف نشاطها السياسي لعرقلة مجهوداته والحيلولة دون نجاح مساعيه. وباستثناء الزعيم الدرقاوي سيدي الحسين أوتمكا الذي رحب بمجيء النكادي ووعده بالدعم والمساندة[148]، فإن باقي الزعامات الدينية والقبلية للأطلس المتوسط رفضت الاستجابة لنداءاته، ولم تبد أية حماسة لهذه الزيارة خاصة أولاد سيدي الطيبي الذين سبق للنكادي أن فتك بأحد أقاربهم وهو سيدي علي الهواري[149].

بعد فشل زيارته الدعائية التي أبانت عجزه عن كسب حلفاء جدد، قرر النكادي العودة إلى تافيلالت لكن دون جدوى فقد"وجد القلوب قد نفرت وعنه أعرضت"[150]. ورغم محاولاته المتكررة لاستمالة العديد من المجموعات القبلية وتعبئتها بهدف تشكيل حركة جديدة ضد الفرنسيين[151]، فإنه لم يستطع الوقوف في وجه التيار المتزايد الذي أصبح يفضل التعامل مع الفرنسيين في ظل الرعب الكبير الذي أحدثه القصف الشديد والمتواصل لسلاح الطيران بين مختلف الأوساط القبلية[152].

ودون أن نعمد إلى تتبع تحركات النكادي إلى غاية استسلامه، فإن ما تجب الإشارة إليه هو أن نشاطه المستقبلي لم يشكل أي تهديد للقوات العسكرية الفرنسية، فأغلب العمليات التي تعرضت لها قوات الاحتلال طيلة الفترة الممتدة من1920م إلى 1930م كانت من تنظيم قبيلتي آيت حمو وآيت خباش في إطار ما يعرف بحرب العصابات[153].

نجحت إذن حركة المقاومة أول الأمر في تجميع مختلف القوى القبلية بالمنطقة، وأقنعتها بوضع خلافاتها السابقة جانبا، إذ دخلت قبائل آيت عطا في تحالف مع أعدائها التقليديين آيت يفلمان وخصوصا قبيلة آيت مرغاد[154] بعد حادث اغتيال الضابط الفرنسي أوستري والانتصار في معركة البطحاء سنة **1918**. وبعد إرغام القوات الفرنسية على الانسحاب إلى أرفود انضمت قوى قبلية عديدة إلى صفوف الحركة، فكانت بحق حركة مقاومة ترفع راية الجهاد وتؤكد بالملموس انخراطها الواضح في التصدي للفرق العسكرية الفرنسية.

لكن عندما تحولت هذه الحركة إلى مشروع كيان سياسي بمؤسساته السياسية والعسكرية، "كان من البديهي أن تبدأ التناقضات في الظهور لما يصاحب إرساء وتثبت السلطة من مؤامرات ورهانات تعكس مصالح الأجنحة المختلفة داخل الحركة"[155]، وبالنظر إلى الوضعية الإثنية المعقدة لساكنة المنطقة والتي تتميز بالصراع والتناقض كما بينا سابقا، فإن هذه الفترة كانت تتطلب من قادة الحركة أن يكونوا ملمين بهذه البنية القبلية عارفين بتناقضاتها ومصالحها المتضاربة مستحضرين في الوقت نفسه الصراعات التاريخية التي ميزت العلاقات بين الأطراف القبلية الفاعلة في حركتهم. كانت المهمة إذن تقتضي وجود قيادة تستطيع تجاوز هذه الانقسامات القبلية وتسهل انصهار جميع القوى القبلية في حركة المقاومة[156]، لا العمل على استفزازها بتحريك الضغائن والأحقاد التقليدية بينها، من خلال الانسياق وراء رغبة أحد أطراف المعادلة القبلية في تصفية الحسابات القديمة واللجوء إلى الثأر والانجرار إلى الانتقام من صراعات الماضي[157] المرتبطة بتشابك الخريطة القبلية، أو توجيه الحركة بما يخدم مصالح قوى قبلية على حساب قوى قبلية أخرى.

غير أن هذه المؤهلات لم تكن تتوفر في قيادة حركة المقاومة التي كانت أجنبية عن المنطقة ولم تكن على درجة كبيرة من الوعي بهذه التناقضات، فتحولت هذه الحركة ذات الخلفيات الدينية والأبعاد الجهادية بالتدريج إلى "مؤسسة للعسف والنهب...، ابتعدت عنها العديد من القوى القبلية ذات الشـــأن في المنطقة، وخاصة آيت عطا وآيت مرغاد"[158].

الهوامش:

1- السوسي محمد المختار، المعسول، ج16، الدار البيضاء، 1961 ، ص262. ---- 2- نفسه، ص262،263.

- حسب الكتابات العسكرية الفرنسية فإن التوزنني ينتمي إلى قبيلة إيد أوسملال وليس إلى قبيلة آقا، انظر:

- Caulis Lieutenant, Le Tafilalet, Renseignement coloniaux, № 3 Mars 1928, p.185.

-Sur le Front Marocain, Bulletin du comité de l'Afrique Française, №1-2, 1919, p.26. 3- Ibid, p.241.------ 4-Ibidem

- السوسي، م.س، ص264. ---- 5- نفسه.

6- استيتيتو عبد الله، دور تافيلالت في تنظيم العلاقات بين المجتمع القبلي والمخزن والمستعمر، (1873-1932): دراسة في إشكالية العلاقات السياسية والوقائع الاجتماعية والتاريخية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس- فاس، 2007، ص292. ----- 7- السوسي، م.س، ص264.* ---- 8- نفسه.*

9 Lmoubariki M, La résistance du sud-marocaine à la pénétration française (1908-1934), Thèse de doctorat d'histoire,Université Lumière, Lyon II,Volume II, Année Universitaire 1990-1991, p.242.

10- السوسي، م.س، ص264. ---- 11-نفسه.* ---- 12- نفسه، ص265.* ---- 13-نفسه.*

14-Aouchar Amina, Colonisation et Campagne Berbère au Maroc ,Afrique Orient ,Casablanca, 2005, p.87.------ 15- Sur le Front Marocain, op. cit, p.26.

16- السوسي، م.س، ص272.

17-Sur le Front Marocain, , op. cit, p.26/Lmoubariki M, op. cit, p.243.-

18- السوسي، م.س،ص266.

19-Lmoubariki M, op. Cit, p.244.

20- السوسي، م.س،ص266. ---- 21- نفسه.

22-Lmoubariki M, op.cit, p.244.---- 23- Sur le Front Marocain, op.cit, p.26.---24-Caulis, p.185.

25- تقوم المهدوية على فكرة المخلص الذي سيرسله الله إلى العالم ليقضي على الظلم، ويقيم ألف سنة من العدل تنتهي بيوم القيامة، وقد كانت هذه الفكرة منتشرة إلى حد كبير في أوساط القبائل، فالمغاربة عرفوا المذهب المهدوي، فالموحدين بنوا دولتهم على أساسها في القرن الثاني عشر، كما لقب بوحمارة نفسه بالمهدي.

26- تعتبر الكتابات العسكرية الفرنسية التوزنيني من بين الشخصيات المهدوية التي ظهرت في المغرب في أوقات الاضطرابات والفتن، يخلط التصوف بالخرافات وبالدعوة إلى الجهاد، انظر:

- Sur le Front Marocain, , op. cit, p.26.

27 - استيتيتو عبد الله،م.س، ص297. ---- 28- السوسي، م.س،ص267.

29- ينحدر النكادي من أنكاد قرب وجدة، التحق ببوحمارة ثم عمل في خدمة عبد المالك، حل في تافيلالت سنة 1917م في إطار بحثه عن بؤرة للمقاومة تمكنه من استغلال تجربته الطويلة إلى جانب بوحمارة وعبد المالك والولوج بالتالي إلى عالم الزعامة، وهكذا أصبح الرجل الثاني في حركة المقاومة بتافيلالت والذراع الأيمن للتوزنيني، انظر:.Lmoubariki M, op. cit, p.248

- حسب الفرنسيين فقد جاء النكادي إلى تافيلالت سنة 1917م بتنسيق مع الألمان في إطار تنفيذ مخططهم الرامي إلى نشر الاضطرابات في كل التراب المغربي، انظر:/Caulis, P.185/Sur le Front Marocain, , op. cit, p.27./

30- السوسي، م.س،ص274.

31-Dans Le Sud Marocain, , Bulletin de la société de géographie du Maroc, 3Année, 1Trimestre, №8, 1919, Casablanca, p.63.

32-لا بد من التذكير بالدوافع التي جعلت الإقامة العامة تتبنى فكرة إرسال بعثة عسكرية إلى جانب خليفة السلطان في تيغمرت في 3 دجنبر 1917م تضم ضابط الاستعلامات القبطان المترجمOustry بدل قيامها باحتلال عسكري وذلك بهدف اقتصاد القوات، وباقتراح من Doury ضمت البعثة العسكرية الفرنسية في تافيلالت القبطان Noel و Oustry وفرقة عسكرية مكونة من 150 من البرطيزة، انظر:

Doury Paul, Lyautey Un saharien Atypique, L'Harmattan, Paris, 2000, p.198-199.

33- السوسي، م.س،ص275. ---- 34- نفسه، ص266.

35–أوردنا إسم هذا الفدائي كما تحتفظ به الرواية الشفوية بمنطقة تافيلالت، وقد أخطأ السوسي نقلا عن المهدي الناصري عندما أسماه بالحاج محمد، انظر: بوكبوط محمد، مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار 1880–1938 صفحات مجهولة من صمود قبائل التخوم الشرقية من تافيلالت إلى واد نول، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005، ص63.

36– السوسي، م.س، ص275. كانت الخطة تقتضي تسليم منفذ العملية رسالتين إلى الضابط الفرنسي أوستري، وبعد أن يقرأ الرسالة الأولى التي فيها "أن آيت خباش الذين يتعرضون إذ ذاك للقوافل التي تأتي من الجزائر بالمواد العسكرية تعرضا قلما تفلت منه أية قافلة هم الآن يريدون أن يستسلموا للحكومة". وفي الوقت الذي ينهمك في فتح الرسالة الثانية ينقض عليه الحرطاني. انظر: السوسي، م.س،ص275.

37– نفسه، ص276.

38- Doury Paul, op. cit, p.200./Vial Jean, Le Maroc Héroïque, Hachette, Paris 1938, p.116./ Bernard M Lieutenant–colonel, Les Etapes de la Pacification Marocaine, la Pacification de Maroc 1907–1934, Publications Du Comité De L'Afrique Française, Paris, 1936, p.29.

39 - السوسي، م.س، ص276.

40– Vial Jean, op. cit, p.116.---- 41 – Lmoubariki M, op. cit, p.231.

42 – Doury Paul, op. cit, p.206.---- 43 – Lmoubariki M, op. cit, p.251

44– السوسي، م.س، ص277.

45 –Bernard M Lieutenant–colonel, op.cit, p.29.---- 46- Ibid, p.253/Dinaux G, La Sécurité du Sahara et du Tafilalet, Renseignement coloniaux, №3, Mars 1929 , p.204.

47– Caulis, p.186.

– شبه العسكريون الفرنسيون الهزيمة التي تعرضت لها قواتهم في معركة كاوز في 9غشت 1918 بهزيمتهم في معركة الهري الشهيرة على يد حركة المقاومة الزيانية سنة 1914 انظر: Doury Paul, op. cit, p.206.

48-Lmoubariki M, op. cit, p.253.

49– استيتو عبد الله،م.س، ص321.

50 – Doury Paul, op. cit, p 206.----- 51- Rapport mensuel politique, septembre 1918, p.10–11.

52-Lmoubariki M, op. cit, p.254.---- 53-Rapport mensuel politique, September 1918, p.2.

54– RRapport mensuel politique, October 1918, p.21/Les opérations militaires au Maroc, ouvrage édité par les armés françaises d 'outre–mer, Paris,1931,p.88.

55- Rapport mensuel politique, September 1918, p.11.---- 56-Ibidem.---- 57 –Caulis, p.186.

58–اكتفت التقارير العسكرية الفرنسية بالإشارة إلى انسحاب الشيخ الدرقاوي دون إعطاء تفاصيل أكثر عن الأسباب التي جعلته يتخذ هذا القرار، انظر: – Rapport mensuel politique, septembre 1918, p.11.

59– De Lamothe G, Les opérations Glaoua en pays Ait Atta, Décembre 1918 à Février 1920, Renseignement coloniaux, №11–12, 1919, p.183.

60- Rapport mensuel politique, Decembre, 1918, p.2.---- 61-De Lamothe G, op.cit, p183.

62 – Rapport mensuel politique, Octobre, 1918, p.11.

63– تعتبر سنة 1918 حسب الفرنسيين سنة حاسمة بالنسبة للمخطط الألماني القاضي بانطلاق هجوم شامل في مختلف الجبهات المغربية يتزامن مع الهجوم الالماني في الجبهة الأوربية يوم 25 ماي 1918، وعليه فقد عملت الدعاية الألمانية على تنسيق مجهودات مختلف زعماء المقاومة المغربية بهدف تزامن الهجومين على الجبهتين، وبالتالي فإن التصعيد الذي تعرفه أنشطة حركة المقاومة في المنطقة يندرج ضمن هذا الإطار حسب الفرنسيين، انظر: – Doury Paul, op. cit, p.197.

64-Ibidem. ---- 65- Rapport mensuel politique, Octobre, 1918, p.11.

66-Ibidem. ---- 67-Sur le Front Marocain, , op. cit, p25.

68 –اختلفت الكتابات العسكرية الفرنسية حول خسائر المقاومين، ففي الوقت الذي قدرت نشرة مجلة إفريقيا الفرنسية عدد القتلى بأكثر من 400 نجد التقرير الشهري للحماية لشهر أكتوبر 1918 يعتبر أنها أكثر من 600 في حين اكتفى Caulis برقم 355 قتيل،انظر: Ibidem /Rapport mensuel politique, Octobre 1918, p.12/Caulis, p.186.

69-De Lamothe G, op.cit, p.183. ----70- Ibidem./ Sur le Front Marocain, , op. cit, p.27.

71- Vial Jean, op. cit, p.222.-----72- Ibid, p.223.-----73- Vial Jean, op. cit, p.117.----74- Caulis, p.186.
75- Ibidem.-----76- De Lamothe G, op.cit, p.183.-----77- Lmoubariki M, op. cit, p.267/Sur le Front Marocain, , op. cit, p.27.----- 78 -Bernard M Lieutenant–colonel, op.cit, p.30.
79- Vial Jean, op. cit, p.117.-----80- Lmoubariki M, op. cit, p.267.---81- Sur le Front Marocain, , op. cit, p.100.

82– تباينت معطيات التقارير العسكرية الفرنسية حول العدد الحقيقي للحركة التي يقودها التهامي الكلاوي بين 10و15 ألف رجل، انظر Sur le Front Marocain, , op. cit, p.27.– De Lamothe G, op.cit, p.183. –

– توزعت هذه القوات على الشكل التالي: –800 فارس من كلاوة ومستيوة –8000 من المشاة من بينهم 4000 مسلحين ببنادق ذات الطلقات السريعة.

83–قوات تمت تعبئتها من المراكز العسكرية الفرنسية في ورززات وتودغة. – ثلاثة مدافع، 600 قذيفة و250 ألف رصاصة، انظر: Ibidem. - –Ibidem.

84- Vial Jean, op. cit, p.116.

85– استيتو عبد الله،م.س، ص330.

86–الناصري المهدي، نعت الغطريس الفسيس هيان بن بيان المنتمي إلى سوس، مخطوط خاص نسخة من خزانة الأستاذ أحمد البوزيدي، ص26.

87– بوكبوط محمد، م.س، ص100.----88- الناصري المهدي، م.س، ص26.---- 89- نفسه.---- 90 -نفسه.

91- الناصري المهدي، م.س، ص26.--- 92-بوكبوط محمد، م.س، ص 97.

93- De Lamothe G, op.cit, p.186. ------94- Ibid, p.187.

95- بوكبوط محمد، م.س، ص98.

96- De Lamothe G, op.cit, p.189.----97- Ibid, p.187/ – Lmoubariki M, op. cit, p.271.

98- الناصري المهدي، م.س، ص71. ---- 99- نفسه.---- 100- نفسه.---- 101-الناصري المهدي، م.س، ص83.

102- نفسه.---- 103-نفسه.---- 104-نفسه، ص84.

105–حسب الناصري فقد كان العيساوي "يزعم أنه أولى الناس بالورد الدرقاوي وكان من الخاصة عند المولى أحمد السباعي، فانقلب به الحال إلى السفك والنهب..."، انظر: نفسه.---- 106- نفسه.

107- De Lamothe G, op.cit, p.186.

108- بوكبوط محمد، م.س،ص101.---- 109- نفسه.---- 110- السوسي، م.س، ص290.

111-بوكبوط محمد، م.س، ص102.---- 112- السوسي، م.س، ص290 .---- 113- الناصري المهدي،م.س، ص95.

114-بوكبوط محمد، م.س، ص102.

115– أغفلت الكتابات الفرنسية الحديث عن الكثير من الأحداث والتطورات التي عرفتها حركة المقاومة خاصة تلك التي لم تشكل أي تهديد مباشر عليهم، انظر: بوكبوط محمد، م.س، ص93.

116- السوسي، المعسول، م.س، ص293.---- 117- الناصري المهدي، م.س، ص99.---- 118- نفسه.--- 119- نفسه.

120- نفسه.---- 121- بوكبوط محمد، م.س، ص119.

122- Caulis, op. cit, p.187.

123- الناصري المهدي،م.س، ص100.---- 124- السوسي، م.س، ص294.---- 125- نفسه.--- 126- نفسه، ص295.

127-أورد المهدي الناصري النص الكامل للرسالة التي بعثها إليه بلقاسم النكادي. انظر: الناصري المهدي، م.س، ص106.–

128-نفسه. ---- 129- بوكبوط محمد، م.س، ص103.

130– أورد استيتو الرسالة التي بعثها فقيه تنغير المهدي الناصري إلى حليفه سيدي علي الهواري، انظر: – استيتو عبد الله، ص372.

131-السوسي، م.س، ص296.---- 132– بوكبوط محمد، م.س، ص103.---- 133– نفسه.

134-السوسي، م.س، ص296.---- 135- نفسه، ص298.---- 136– بوكبوط محمد، م.س، ص103.

137- الناصري المهدي، م.س، ص127.---- 138- نفسه.

139- Rapport mensuel politique, Aout, 1920, p.4.

140- الناصري المهدي، م.س، ص162.

141- Caulis, op.cit, p.187./ Rapport mensuel politique, Aout, 1920, p.4.

142-بوكبوط محمد، م.س، ص121/الناصري المهدي، م.س، ص162.

143 - نفسه، ص163.----- 144 - انظر الرسالة كاملة عند: استيتو عبد الله، ص394.

145- Rapport mensuel politique, Mai 1921, p.16.

146-Ibidem.----------147- Rapport mensuel politique, Juin 1921, p.12.

148-Ibid, P.10. /Rapport mensuel politique, Juillet 1921, p.12-13.

149-Rapport mensuel politique, Juin 1921, p.12.

150- الناصري المهدي، م.س، ص167. ------ 151- Lmoubariki M, op. cit, p.287.-

152- Rapport mensuel politique, Mai 1921, p.16.----153 -Lmoubariki M, op. cit, p.288 .

154-Caulis, op. cit, p.183-184.

155- بوكبوط محمد، م.س، ص117---- 156- نفسه.---- 157- Caulis, op. cit, p.188.157-

158- بوكبوط محمد، م.س، ص105.